المكان في الرواية الليبية ـ رواية (إيشي) أنموذجا

د . راسم محمد الطيب محمد ـ كلية التربية القصيعة ، جامعة الزيتونة

Place in the Libyan Novel - The Novel (Ishi) as a Model

Prepared by: Dr. RASM MOHAMED ALTAEB MOHAMD
Lecturer, Faculty of Education, Al-Zaytouna University
Department of Arabic Language

Abstract

This study discusses the structure of the place in The Libyan novel,(Eeshy Novel) as a case study by the Libyan author Alasfar .

The study is started with an introduction about the concept of the place and the most important open places in the novel such as the desert , the city and the street. The most important closed places are also discussed as well such as the bus and the room. Then come the references and the resources at the end of the study.

الملخص:

تناول في هذا البحث " بناء المكان في الرواية الليبية، رواية إيشي أنموذجاً " حيث تناولتُ فيه دراسة عنصر المكان في روايِة إيشي للروائية الليبية عائشة الأصفر، افتتحتُ البحث بمقدمة عن المكان، وأهمية البحث، ومنهجية البحث، ثم تناولتُ أهم الأماكن المفتوحة في الرواية منها الصحراء، المدينة، الشارع، وتناولتُ أهم الأماكن المغلقة في الرواية موضوع الدراسة منها: الحافلة، الغرفة، ثم نتائج البحث، وذيلتُ البحث بقائمة المصادر والمراجع.

المكان في الرواية الليبية رواية (إيشي) أنموذجاً

يعد المكان العنصر الثاني المكمل لبنية النص الروائي بعد الزمان، وأهميته تتمثل " في تحديد أبعاد العمل الروائي، ويوجد توحداً واتصالاً وثيقاً بينه وبين باقي عناصر العمل كلها، خاصة عنصر الشخصية في الدرجة الأولى، حيث أن الحيز المكاني الذي تتحرك فيه الشخوص والأحداث هو بمثابة العامل المهم في بلورة معالم الأحداث والشخوص بما تضفيه على عنصر الشخصية خاصة من سمات تتعلق بالرقعة المكانية ذاتها " (1) .

وهذا العنصر له تأثيره المباشر في الحدث وفي الأسلوب ولغة الحوار وهو أحد

معالم حركة الشخصية ومنه تنطلق وإليه تعود ويكون جهد الكاتب منصباً حول عناصر المكان ونقل صورة حية لأحداثه (2) .

ويرى " غاستون باشلار " أن " المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكاناً لا مبالياً، ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل كل ما في الخيال من تمييز، إننا نجذب نحوه؛ لأنه يكثف الوجود في حدود تتسم بالجمالية. في كل الصور، لا تكون العلاقات المتبادلة بين الخارج والألفة متوازنة "(3) .

ويرى حسن بحراوي أن الفضاء الروائي يتجسد من خلال لغة النص، ومن ثم يختلف عن باقي أشكال الفضاء الفنية، يقول: " الفضاء الروائي مثل باقي المكونات الأخرى للسرد، لا يوجد إلا من خلال اللغة، فهو فضاء لفظي بامتياز، ويختلف عن الفضاءات الخاصة بالسينما والمسرح، أي عن كل الأماكن التي ندركها بالبصر أو السمع، إنه فضاء لا يوجد سوى من خلال الكلمات المطبوعة في الكتاب، ولذلك فهو يتشكل كموضوع للفكر الذي يخلقه الروائي جميع أجزائه ويحمّله طابعاً مطابقاً لطبيعة الفنون الجميلة ولمبدأ المكان نفسه "(4) .

وللمكان مرادفات منها (الفضاء ، الحيز) ، وقد اختار بعض الباحثين تسميات معينة دون أخرى ، ودافع عن اختياره حيث أطلق المكان دون قيد أو تحديد على المكان داخل النص سواء أكان واحداً أو عدة أمكنة ، أما الفضاء فيدل على مجموع التي تدخل في شبكة العلاقات فيما بينها داخل النص الروائي ، كما يشمل وجهات نظر الشخصيات ، بحيث يبدو الفضاء أكثر شمولاً واتساعاً من مصطلح المكان ليغدو هذا الأخير جزءاً من الفضاء وليس مساوياً له (5) ، وأضاف الناقد " مرتاض " مصطلح " الحيز "، وهو مصطلح لم يتم تداوله كثيراً في مجال الدراسات السردية ، ولكنه استخدمه للدلالة على الحجم ، والشكل ، والوزن ، والمسافة ، بينما اقتصر المكان على الموقع الجغرافي في أضيق مساحة له في العمل الروائي (6) .

عليه فالمكان في الرواية مثل بقية العناصر فهو ابداع لُغوي يوجد من خلال اللغة، ويعطيه النص مميزاته الخاصة وأبعاده (الجغرافية، والهندسية، والفيزيائية، والاجتماعية، والنفسية) التي تحدده (7) .

والمكان الروائي هو المؤثر الفاعل الذي تتأثر به الشخصية الروائية، فهو حقيقة معاشه، يؤثر في الشخصيات القدر نفسه الذي يؤثرون فيه، فهو مكان يفرض سلوكاً معيناً على الناس الذي يلجئون إليه، كما أنه يعتبر تعبيراً مجازياً عن الشخصية وامتداد

للشخصية، فعندما يتم وصف المكان فإن ذلك يعتبر منزلة وصف الشخصية الموجودة فيه، وتؤثر طبيعة المكان على الشخصية وأخلاقها، فالشخصية التي تخلق في مكان الصحراوي تختلف عن الشخصية التي تخلق في المدينة، أو القرية، يكون هذا الاختلاف ذهنياً، وثقافياً ، وسلوكياً.

فالمكان لم يبق في نظر الدارسين مجرد رقعة جغرافية، وإنما هو " مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر أو الحالات، أو الوظائف، أو الأشكال المتغيرة تقوم بينها علاقة شبيهة بالعلاقات المألوفة العادية "(8) ، ويوضح (حميد لحمداني) بأن أدباء هذا العصر تغير أسلوب تعاملهم مع الواقع ، فلم يَعُدْ إحساسهم بالمكان يبعث في نفوسهم الشعور بالاطمئنان والسكينة، ولذلك تغيرت نظرتهم إليه ، وكان موقفهم منه قد اتخذ شكلين هما :

الأول : يعتّم عن قصد صورة المكان، ويقتصر على إشارات عابرة تدعو إليها الضرورة لإقامة الحكي .

الثاني : يبالغ في وصف التفاصيل بصورة يبدو معها العالم المادي ينبوء بأشيائه وأمكنته على الأشخاص الروائية وعلى القراء أنفسهم، فتتجمد الأشخاص وتصبح حركتها لا معنى لها (9) .

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى التعرف على مفهوم المكان بأنواعه غير المحدودة، وعلاقته بشخصيات الرواية، كما يهدف إلى التعرف على الفضاء الروائي وكيفية تشكيله، والحيز الذي يأخذه في تشكيل الرواية لكونه عنصراً سردياً مهماً في بناء رواية "إيشي" للكاتبة عائشة الأصفر.

منهجية البحث:

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج التحليلي الوصفي، إذ حاولتُ فيه أن أركز اهتمامي حول المكان كعنصر أساسي يدعم الرواية، والإشادة بأبعاده الإيحائية ذات الأوجه المتعددة، وذلك من خلال التطرق إلى العديد من الأماكن المغلقة والمفتوحة في الرواية المدروسة، بالإضافة إلى التعريف بمفهوم المكان الروائي وكيفية تشكيله داخل البناء السردي للرواية.

والروائية الليبية عائشة الأصفر لها بصمة خاصة في الكتابة الإبداعية الروائية ، وقد تميزت كتاباتها بالتجديد والتنوع من حيث الشكل والمضمون ، وفي هذا البحث سنتناول دراسة المكان في رواية " إيشي "(10)، فنجد أن الروائية عائشة الأصفر في

هذه الرواية ركزت على المكان باعتباره عنصر مهم في بناء الرواية من أجل استنطاق شخصياته التي ارتبطت به ووقفت على جغرافيته ، والروائي الليبي بصفة عامة مهتم بالجنوب الليبي والكتابة عنه ، لكي يقرأ سجله التاريخي المكتوب على تضاريس الصحراء ، التي هي تاريخ القوة والصلابة والكفاح ، يقول عبدالحكيم المالكي :" نحن مع روائية المكان ولكنه ليس المكان المجرد ، إنه المكان جغرافيا نابضة بالتاريخ ، وضمن هذه الجغرافيا وضمن أفق التاريخ الممتد قدما ومستقبلاً نجد شخصيتان شديدة التعقيد تعيش آلمها الخاص ، وتدور على نفسها بشكل غريب ومميز ، ضمن سرد نابض بالحياة ، وفي رواية خاصة ومختلفة وبطريقة لم تشاهدها سابقاً في رواية ، فهذه الشخصيات مختلفة جداً سواء الشخصية الرئيسية (احبيب) الذي نتابع هوانه لدرجة أنه لا يكاد يمتلك اسماً خاصاً ، ذلك الشخص شبيه الديك الذي يدور على نفسه باستمرار ، ويعيش تصور للعالم من وعي الدواجن ، ضمن تجربة مهانة لا مثيل لها في فضاء مكاني يعتمد على القوة ، كما يعيش في تصوره الداخلي ذلك فتنة مظهره الخارجي البائس ، ويعيش فتنة الاعتداء عليه جسدياً ، ويعيش فتنة طيبته في مجتمع يعيش تحولاً كبيراً وسريعاً، وفي لحظة فُقد فيها القانون والعقل وعاش الكل بالغلبة (11).

والشخصية الرئيسة في الرواية هي (إيشي) التي تقدم نفسها على إنها فتاة أثيوبية وتتكشف للراوي عن رؤى أخرى وأبعاد مختلفة لحياتها، فهذه الرواية في مجملها (مشهد) روائي، وأن صفحاتها التي تجاوزت الثلاثمائة بقليل كلها في زمن يستغرق ست إلى ثمان ساعات في رحلة على متن حافلة متجهة من طرابلس إلى سبها، وهذا الزمن يتخلله انكسارات في الخطاب الذي يسترجع الماضي في أغلب مراحله.

وتعتمد الرواية على تقنية الحوار بين هاتين الشخصيتين (احبيب)، (إيشي) في حافلة لنقل الركاب، والشخصيتين من نسيج المجتمع الليبي، الرواية مليئة بالتحولات المعاصرة على الصعيد السياسي والاجتماعي مثلاً الخير والشر، والظلم والعدل، الرجل والمرأة، تحتفي الرواية بالمكان وتنقل كل تفاصيله، فتتناول الصحراء بكل تفاصيلها.

سنتناول في هذا البحث دراسة المكان في الرواية من حيث الانفتاح والانغلاق.

أولاً ـ الأماكن المفتوحة في الرواية :

يأتي المكان المفتوح في الرواية معادلاً للمكان المغلق في حراك الشخصيات الروائية وتتخذ الرواية الأماكن المنفتحة على الطبيعة تؤطر بها لأحداث الرواية ، وتخضع هذه

الأماكن لاختلاف يفرضه الزمن المتحكم في شكلها الهندسي وفي طبيعتها وفي أنواعها (12) ، ومن هذه الأماكن ما يحقق للإنسان المودة والحب ، ومنها ما يحقق له القسوة والموت ، وهو الذي لا يخضع لسطلة ولا ملكية أحد ، وهو مكان عادة ما يكون ذات مساحات كبيرة ، كالصحراء، والبحر، والمدينة ، والحي ، والشارع ، وبالنظر للرواية موضوع الدراسة نجد عدد من الأماكن المفتوحة منها .

1: الصحراء:

الصحراء مكان عام مفتوح يمنح الناس الحرية للتنقل والترحال ، وعادة ما تحمل الصحراء بعداً ثقافياً وتراثياً ، قد حظيت في عصرنا الحديث باهتمام الروائيين الليبيين خاصة نظراً لما تمثله الصحراء لهم من خصوصية ثقافية وفكرية ، فنجد هذا المكان في عدد من الإشارات منها ، وصف شخصية إيشي لها : " هذه الصحراء يا صديقي تتباهى بامتداد أذرعها ، تنسى أن القوة للماء ؛ وهي ربع مقسوم كنصيب الضرة في ميراث شريعتها ، وهذه الصحراء قد ترملت شريكة ؛ فماذا جنى الديكة في حلبة الدم ؛ غير نتف الريش بلا طيران " (13) ، ومن الاشارات التي نقف عندها الاتساع الذي منحها القوة في هذه الطبيعة ، إذ نراها تقول واصفة الصحراء الكبرى :" ... اقترب جدي من ولده ، كبده التي تغادره متقلبة متدحرجة على رمال الصحراء الكبرى إلى أنجامينا ، كبد ، معلولة متقرحة ، بلا غيوم ولا مزن ولا كتف ، تتقلب على هذه الرمضاء التي لا تعرف سوى القرابين فهل كبد جدي قربان ...، وما تهرب منه سيكون نبضك، سيتدحرج قلبي وراءك في صحراء الجحيم " (14) .

ويأخذ وصف الصحراء بعد آخر يتجاوز حدود الحاضر إلى التاريخ تقول إيشي : " تعرف يا صديقي لماذا نقش التاريخ أسراره على الجبال؟ لأنه لا يثق بالرمل ، أن الرمل لا يصمد أمام الريح ، ما يكتبه عليه يضيع بين الحوافر والأقدام وأمزجة العجاج ، الرمل جبان وخائن ... "(15) .

الصحراء ضاعت، وضاعت هيبتها وهيبة أبنائها يوم استباحوا حرمتها وحرمة أهلها وسلبوها شرفها وتركوها للأعداء بلا ثمن " تهريب النفط رفع طوابق بيتنا ، وصندوق الذخيرة منحنا سورا منيعا وخادمة، لن أترك الوقود لتوكة ومرتزقته يكفي استفردوا بالحدود وجبل الذهب، لا تلمني ...، يا ربي يا ربي ماذا أقول ؟ القتال منحهم بيتاً وخادمة، ليفتك بيتي ويجعلني خادمة في بيوت بنتها لهم الحرب " (16).

فقد أضفت الكاتبة على وصفها الدقيق للصحراء مشاعر التعب والمشقة وصعوبة الوصول إلى هذا الفضاء المكاني ، كما يوحي للقارئ بعزلة هذا الفضاء ووحشته

وقسوته ، على الرغم من الصورة المتناهية في الجمال التي تبهر الناظر إليها من الخارج ، إذ نراها تقول على لسان شخصيتها المحورية " احبيب " وصفاً الصحراء بقوله : " انفرجت تعابير " إيشي " مع الذهب كبساط ممتد متماوج في انكسارات ضوئية ، تعلن وداعا قريباً ليوم اشتهينا أبديته ، بدأت الصحراء تفصح عن جمالها وهي تحف بلونها الذهبي ، اللسان المعبد بالسواد ، إيذانا باقتراب " سبها " ساعة أو أقل ، ربما لتهبنا أصيلاً شاعريا وحمرة شفق ترتعش غيرة من حمرتها ، زاد شغفنا بتسريح صدورنا ، وتفريغها وعتق غصات حبيسة .." (17)، الوصف مفعم بالشعرية، فالرمال مثل الذهب وهي مثل بساط ممتد تتداخل به تقنية الضوء عبر تلك الانكسارات والظلال.

اعتمدت الكاتبة على تقنية الوصف لرسم صورة الصحراء في روايتها وتحديد صفاتها التي تبدى من الطريق المؤدية إلى مدينة سبها، وما يعديه هذا الوصف من دلالات توحي بجمال الصحراء الليبية الشاسعة، فالذاهب من طرابلس إلى فزان عبر الطريق الصحراوي، سيدهشه أن يرى طريقاً معبداً طويلاً تحفه الصحراء بلونها الذهبي.

2: المدينة:

تمثل المدينة مجموعة من المسافات(18) ، لها أبعادها الاجتماعية والنفسية والفكرية والسياسية ، وهي ليست مجرد مكان للأحداث فقط بل استحالت موضوعاً ، وخاصة مع تنامي العوامل الداخلية والخارجية ، فمن الناحية الاجتماعية تعتبر ذات كثافة سكانية كانت سبباً لمظاهر كثيرة ومشكلات نفسية واجتماعية ، ومن ناحية ثانية أصبحت المدينة ملتقى التيارات الفكرية والفلسفات العالمية الواردة إليها من جهات مختلفة من العالم، وقد شكل هذا الاختلاف صراعاً فكرياً توازى مع الصراع الاجتماعي الذي ساد في مجتمع المدينة ، ولعل هذا ما عمل على تطور تصور الروائيين للمدينة ، والانتقال بها من مجرد مكان إلى موضوع خصب يثري الرواية ، ويمدها بأحداث وشخصيات تساعد الكاتب على بناء خطابه (19) .

فالرواية وصفت بعض المدن الليبية مثل مدينة طرابلس، بنغازي، سبها، فالراوية تحث "احواس " بأن يبقَ في المدينة ويبتعد عن الصحراء " اهرب إلى المدن فأبناؤها سواسية لا أب لهم، وأنتِ يا أيشي هل صدقتِ عزيزة ؟ لا تفعلي، ابقي في المدينة ، فالمدن النهر الذي يغسل أحذية عابريه ، ووجوههم ، وأموالهم ، تتساوى فيه جميعها مثل أكواب النسكافية الورقية ! (20) .

ولعلنا من خلال هذا النص السردي نرى أن الكاتبة قد اكتفت بهذا النص الروائي في حديثها عن المدينة وأهملت رسم صورة واضحة لهذه الفضاءات المكانية دون تفاصيل توحي بالدلالات الكاملة

3: الشـــــــــارع :

من الأمكنة المنفتحة الشارع، وقد مثل مكاناً مفتوحاً مليئاً مليئاً بالأسرار، ففيه ينعدم الأمان، وهو المفضل للصوص والمتشردين، كما يحمل نبض الإنسان وأوجاعه، الذي يخرج إليه هارباً حين يضيق به المكان بحثاً عن الهواء والتنفس، وهو وحده الذي يمنح الشخصية في الرواية الشعور بوجودها، وهو مكان للجريمة، والصراخ والضجيج، وفضاءً مخادع وكذّاب وله ضحاياه ومرتادوه ، وله شكله الناصع والجميل في الأمكنة الهادئة ، حيث يتمشى العشاق سراً في مكان لا يحتفظ بالأسرار (21).

وفي الرواية تحضر الشوارع بأبعادها الواقعية لأكثر من شارع في المدن والقرى الليبية وهي تصف شارع (40) الذي يقطن فيه (توكة) وجعلته مسرح للأحداث التي تدور في الرواية بين الشخصيات فتقول : " فيلا توكة اليوم قبل العمارات ببضع فلل فخمة وبيوت مرتاحة لليبيين مرتاحين ويمينها بوابة عملاقة لفيلا نائب البرلمان ويستمر الحال على ضفتي شارع (40) بين كل بيت وفيلا بيوت طين وخرب مبتورة من أسيجتها تأوي أفارقة وليبين مسحوقين أو غرف صفيح ملحقة بأرضية العمارات ، كبر الحي وسرح في كل الاتجاهات وشقة شارع (40) منبطحاً على بطنه من الطريق الدائري جنوباً وحتى العمارات يقابله بيتنا شمال الدائري ، حيث دكانة عمي " بشير " الموريتناني ... " (21) .

يُعد هذا المقطع السردي البارز في الرواية والذي كثفت فيه الكاتبة واصفة لمعالم هذا المكان معتمدة التفاصيل أحياناً مما دفعها في كثير من الأحيان بأن توردها مقرونة بحركة الشخصيات وسلوكياتها وطبائعها ، فالحبيب مثلاً وهو ينتقل من مكان إلى آخر لا ينسى أن يرسم ملامح هذا الفضاء الذي نزل به فيكسبه كثير من الصفات الاجتماعية السائدة ، مما جعل من المكان يشارك في وضع الأحداث كامتداد في الصراع القائم ، فمن الجنوب جزء منها عربي، وجزء أفريقي يكونان معاص خليفة الشخصيات التي تتحرك وفقها وترسم على أساسها أهدافها ، وهذا ما يتأكد على لسان الراوي حين نراه يصف الشارع نفسه بأنه يضم الجنسيات الأخرى فتقول على لسان " احبيب " : " ماذا لو عرفت إيشي أن أنموذجها الشريف تحته " كنعيمة " ماذا لو علمت أنه يحوز مثيلاتها الأفريقيات في ورش حينا النزيه ،والذي تغلغلت فيه رائحة

الفقس وأنجامينا وأغاديس ، حتى صار كله شارع 40 أنا لست كاذباً لو أخفيت عنها نصف الحقيقة ..."(23).

كما تصف الساردة الشارع ، إذ تقدم الكاتبة هذا المكان باعتباره فضاء يشير إلى سطوة العادات والخرافات التي هي رائجة عند النساء ممن يترددن على هذا المكان، فنراها تقول على لسان شخصية احبيب :" آهٍ لولا رائحة الحناء والخمرة التي تعوم فيها النساء شارع 40 وأحجبة المحبة المدسوسة تحت وسائدهن لهجرته الحياة يا إيشي ، يا لولا بخور الفك والملح وتعاويد أمي وعمتي قابس ، لرأيت الغول بين ثوبك وجلدك يا إيشي لدخلتْ عليك بناتها المطبخ مع عفاريت النيجري عبد الودود في عز النهار يا صديقتي "(24).

ونلاحظ أن الراوي اختار وصف عدد من العادات والتقاليد الموجودة في الشارع السبهاوي وخاصة شارع 40 الذي تكثر فيه رائحة الحناء، والبخور والتعاويذ التي تدل على انتشار هذه الظواهر في هذه الشوارع، كما تبين كثرة الجنسيات الأخرى في شوارع سبها.

ثانياً ـ الأماكن المغلقة في الرواية:

المكان المغلق هو الذي يعيش فيه الانسان فترات معينة سواء بإرادته أو بإرادة الآخرين ، وهو الذي " حدّدت مساحته ومكوناته كغرف البيوت ، والقصور ، فهو المأوى الاختياري والضرورة الاجتماعية أو كأسيجة السجون ، فهو المكان الإجباري المؤقت ، وقد تكشف الأمكنة المغلقة عن الألفة والأمان ، أو تكون مصدراً للخوف ، أو هو الأماكن الشعبية التي يقصدها الناس لتمضية الوقت والترويح عن النفس كالمقاهي ، أو تلك الأماكن التي تتردد عليها الطبقة المترفة الثرية لتشبع نزواتها كالملاهي ، وهو المكان المؤطّر بالحدود الهندسية والجغرافية "(25) ، وقد اهتمت الروائية بهذه الأمكنة وجعلت منها إطاراً لأحداث الرواية ومتحرك للشخصيات في الرواية ومن هذه الأماكن المغلقة .

1: الحافلة:

الحافلة لها خصوصية في هذه الرواية وقد استحوذت على كثير من تفاصيل السرد ووصفت إيشي الحافلة التي دارت أحداث الرواية على متنها وهي متجه من طرابلس شارع المعري إلى مرزق ، بأكثر من وصف فإذا كان الانسان يقيم في الفضاء المفتوح بإرادته ، فهناك مكان آخر مغلق يقيم فيه مرغماً هي" الحافلة " التي شكلت عالماً مكانياً مناقضاً لعالم الحرية ، انتقلت إليه الشخصية تاركه ورائها فضاء الخارج

المفتوح إلى عالم مغلق هو الداخل المحدود ، تكشف فيه حياة جديدة لها قيمتها المختلفة عن تلك التي الفتها ، فجردت المكان من كيانه وسلبته خصوصيته ، ومن هنا وجدت الكاتبة في الحافلة مورداً خصباً لبناء نصها السردي ، جعلت منه فضاء يساهم بنائياً في تشكيل بناء الخطاب ، وتتخذ دلالات مختلفة ، ويتحقق هذا من خلال تقنية الحوار بين الشخصيات الرئيسية ، فنجدها تقول على لسان" احبيب "، " لم تتوقع أن تجدني في طرابلس ، وعلى نفس الحافلة القاصدة سبها ... ، تبادلنا تحية سريعة ونحن نعتلي درجات الحافلة ، تقدمت في الممر الضيق كسرولة أكبر من المكان ، أحث خطواتي وراءها إلى حيث تخيرت مقعداً قرب النافذة "(26) ، فالرواية تدور أحداثها على متن هذه الحافلة المنطلقة من شارع المعري ، إلى سبها ، فهذه الرواية يمكن أن نسميها رواية لكثرة الفضاءات محلية وعربية وعالمية ، كل هذه الأحداث دارت داخل الحافلة المنتقلة من طرابلس إلى سبها ، يقول الراوي : "وناولتني قنينة ماء كنتُ غارقاً في عرقي ، أشعر بقلبي في حلقي ، رؤوس الديكة المسنودة في الحافلة كلها" توكة " والفتحات بين المقاعد متاهات وخرائب ؛ يا الله ما هذا ، ممر الحافلة طريق متهدم وقفر ، وكأنيي عائد من حرب الطليان ومعتقلات العقيلة " (27) .

2: الغرفة:

تمثل الغرفة أحد مكونات البيت ، وهي الأكثر احتواء للإنسان والأكثر خصوصية ، يمارس فيها حياته ويحمي فيها نفسه ، وهي غطاء للإنسان يدخلها فيجلع جزءاً من ملابسه ، ويدخلها ليرتدي جزءاً آخر ، عندما يألفها يتحرك بحرية أكثر(28) ، وقد اهتم الروائيون بوصفها لأنها الأكثر خصوصية للشخصية ، فنجد في رواية إيشي أن الكاتبة تصف غرفة " إيشي " التي تقيم فيها فتقول: " سبقتها أمي إلى المطبخ تراجعت ومستدركة طلبت منها أن تتبعها إلى غرفة جانبية داخلية وصغيرة قريبة من دارها ، أفهمتها أنها مكان إقامتها وستخليها لها اليوم ، لكن إيشي قالت : إنها سعيدة بها بهذا الشكل ، وتتمنى أن تبقي الغرفة بحاجياتها كما هي ، وسترتبها بما يرضي أمي "(29) .

" وعلاقة الإنسان بالمكان تتحدد وفقا للتجارب المعيشية فقد تكون تجارب إيجابية يتولد عنها شعور بالانتماء للمكان، وقد تكون تجارب مؤلمة تورث الإحباط والنفور من المكان ، وما يحدد حضور المكان وتأثيره هو الثيمة الكلية للنص القصصي، حيث تحدد التقابلات والتعارضات فالمنفتح يقابل المنغلق ، والفارغ يقابل المملوء، والمركب يقابل البسيط ، والمريح يقابل المزعج، والضيق يقابل الواسع ... " (30) .

فالمكان المغلق في المحصلة النهائية هو المهمين من حيث هو في بعض مظاهره حيز

مادي جغرافي يمكن تحديده مهما كبرت أبعاده ، والمكان المغلق محكوم دائماً بسلطة مطلقة أو مقيدة ، وهو ما يجعل العلاقة بين المكان المغلق والسلطة علاقة حتمية ، غير أن نوعيتها تتحدد وفقاً لطبيعة المكان ، فالسلطة في المكان المغلق أكثر سطوة وهيمنة وأبعد تأثيراً ، بينما السلطة في المكان المفتوح مجرد فرضية فلسفية تبعاً للانهائية المكان المفتوح ، والمكان المغلق قدر الانسان الذي يسعى من خلاله إلى فرض التعايش النسبي ، وعليه فإن الانسان محكوم بسياج المكان المغلق بدءاً من البيت إلى المدرسة إلى العمل وغيرها (31) .

تصف الكاتبة غرفة الجلوس بقولها: " أسير وراء عائشة في مرايا السحر، أبكي وأنا أطالع غرفة الجلوس تتحلق فيها المزينات البنفسجية بوسائدها العنابية لون أمي المفضل، جارات وكعك وفرح وقهوة عشية والتلفزيون يضج بأغنية ... وأطفال يتداعكون للجلوس أولا، كأني أعرف أسماءهم آاه يا احبيب ، يهزمني بيت عائشة البيت الذي أحببت أن أكون فيه، اشتقتُ حتى رؤية ذاك الذباب يتزاحم يلحس بقايا فيضان زبد أبيض، حول فم الصغير الناعس على طرف أمه " (32).

يضم المكان السابق تفاصيل كثيرة من أشياء المكان، والحركة، والصوت، والألوان، كما هي في سياقها الواقعي، فطبيعة المكان المغلق هو الأصل في السياق الواقعي، حيث يصنع الإنسان مكانه ويرسم أبعاده وفقاً لمصالحه ومدى السلطة التي يمتلكها، فكلما زاد حجم السلطة، اتضحت معالم المكان المغلق وبدا أكثر ضيقاً، فضيق المكان ينتج عن اتساع السلطة فكراً وسلوكا، بينما اتساع المكان ينتج عن ارتخاء السلطة (33) .

وتصف الكاتبة ضيق غرفة إيشي بمنزل عائلة مستورة بعين زارة فتقول : " كانت أجرة خدمتي لهم سكني المجاني بغرفة خزين بلا مرفق فأقتصد في قنينة الماء التي أحرص على إدخالها معي قبل أن أنام على كوابيس الجردان الكبيرة التي ترعبني وهي تطارد بعضها في جرادل الشعير طرف المخزن ، أستف بعض القطع المهملة فوق بعضها لأشرب من فتحة صغيرة ومرتفعة ، ليس مثلما كنت أفعل في وسعايتنا لأني مهووسة برؤية السماء في الليل أومئ للنجم أترجم هسهسة الشجر ، وخشخشة العصافير في أعشاشها ، بل أشرئب من الفتحة العالية لأخبر الله في السماء أني خائفة وجائعة وفاقدة ووحيدة ... " (34) .

نـتـائـج الـبـحـث

1ـ بينت هذه الدراسة طبيعة المكان في الرواية المختارة إذ أنها تتسم بطبيعة واقعية.

2ـ تعدد الأمكنة المفتوحة والمغلقة، إذ كانت غاية الكاتبة من وراء توظيفها لهذا التعدد هو ربط المكان بشخصيات الرواية، بحيث ينعكس ذلك عليها فتكون إيجابية أو سلبية، وهذا ظاهر من خلال سلوكها ووظائفها.

3ـ المكان في رواية إيشي للكاتبة عائشة الأصفر متنوع ومتجدد، وهذا التنوع راجع إلى انتقال الشخصية الرئيسية والشخصيات الفاعلة من مكان إلى آخر.

4 ـ ذكرت الكاتبة العديد من الأماكن المفتوحة والمغلقة وقد تفاوتت الأمكنة من حيث وصفها في نص رواية إيشي ويعود ذلك لأسباب منها أهمية بعض الأمكنة على أماكن أخـــــرى.

الهوامـــــــــــــش :

1: نصر محمد ، إبراهيم عباس ، الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ ، مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع ، الرياض السعودية ط1، 1984 م ، ص 343

2: ينظر : نادر أحمد عبدالخالق ، الشخصية الروائية بين علي أحمد باكير ، ونجيب الكيلاني ، دراسة موضوعية فنية ، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ط1/2010م . ص 433 .

3: غاستون باشلار ، جماليات المكان ، ترجمة غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان ، ط2000/5م ، ص 31 .

4: حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي (الفضاء ، الزمن ، الشخصية) المركز الثقافي العربي ، بيروت ط/1 ، 1990م ، ص 27 .

5: ينظر ،حميد لحمداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1/ 1991 م ، ص 35 ، 54 .

6: ينظر ، عبدالملك مرتاض ، بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة ، الكويت ط1/ 1998 م في نظرية الرواية ، ص 133 .

7: ينظر، يوسف مفتاح مسعود ، المجتمع الليبي في الرواية الليبية في الربع الأخير من القرن العشرين (دراسة موضوعية وفنية) رسالة دكتوراه جامعة القاهرة 2013 م ، ص 286 .

8: يوري لوتمان ، وآخرون ، مشكلة المكان الفني ، ترجمة ، سيزا قاسم ، ضمن كتاب (جماليات المكان) دار قرطبة ، الدار البيضاء ، ص 69 .

9: : ينظر ، حميد لحمداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، مرجع سابق ، ص 68 .

10: : عائشة الأصفر ، إيشي ، مكتبة طرابلس العلمية العالمية ، طرابلس ، ليبيا ط1/ 2023 .

11: عبدالحكيم المالكي ، عن رواية إيشي مقالة بتاريخ 2023/05/15 ، مجلة فبراير اسبوعية تصدر عن الهيئة العامة للصحافة .

12: ينظر ، الشريف حبيلة ، بنية الخطاب الروائي ، دراسة في روايات نجيب محفوظ ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط/1، 2010 ، ص 244 .

13: عائشة الأصفر ، إيشي ، ص 61 .

14: المصدر السابق نفسه ، ص 154 ، 155 .

15: المصدر السابق نفسه ، ص 239 .

16: المصدر السابق نفسه ، ص 244 .

17: المصدر السابق نفسه ، ص 295 .
18: ينظر ميشال بوتور ، ترجمة فرند أنطونيوس ، بحوث في الرواية الجديدة ، دار عويدات للنشر ، 1986م ، 47 .
19: ينظر ، الشريف حبيلة ، بنية الخطاب الروائي ، دراسة في روايات نجيب الكيلاني ، مرجع سابق ، ص 256، 257 .
20: إيشي ، ص 266 .
21: ينظر : بدر عبدالملك ، المكان في القصة القصيرة في الإمارات ، منشورات المجتمع الثقافي ، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة ، ط/1، 1997 ، ص 364 .
22: : عائشة الأصفر ، إيشي ، ص44 ، 45 .
23: المصدر السابق نفسه ، ص 46 .
24: المصدر السابق نفسه ، ص 93
25: مهدي عبيدي جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب 2011 ، ص 43 .
26: : أيشي ص 9 .
27: المصدر السابق نفسه ، ص 90 .
28: ينظر ، حنان محمد موسى ، الزماكانية وبنية الشعر المعاصر ، أحمد عبدالمعطي نموذجاً ، عالم الكتب الحديث ، اربد الأردن ، دار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ط/1، 2006 ، ص 95 .
29: إيشي ، ص 59 .
30: كلحوش ، فتحية ، بلاغة المكان قراءة في مكانية النص السردي ، بيروت مؤسسة الانتشار العربي ، 20008 م ، ص 27 .
31: حسن محمد النعمي ، سلطة المكان المغلق ، مجلة عالم الفكر تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ، العدد 3 المجلد 41 ، يناير مارس 2013 ، ص 226 ، 227 .
32 : : إيشي ، ص 177 .
33 : ينظر : حسن محمد النعمي ، سلطة المكان المغلق ، مجلة عالم الفكر تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ، العدد 3 المجلد 41 ، يناير مارس 2013 ، مرجع سابق، ص 227 .
34 : إيشي ، ص 219 .